نقد العقل الديني في روايتي نحيب الرافدين وفريدون له ثلاثة أبناء دراسة دراسة مقارنة

م.م. مريم قاسم محمد حاشوش
الجامعة المستنصرية، كلية التربية،
قسم اللغة العربية
Mariam.qasim@uomustansiriyah.edu.iq

م.م. أمير احمد عبيد حسين
جامعة القاسم الخضراء
ameerahmad@fosci.uoqasim.edu.iq

الكلمات المفتاحية: العقل الديني، الرواية، عبدالرحمن مجيد الربيعي، عباس معروفي.

كيفية اقتباس البحث

حاشوش ، مريم قاسم محمد، أمير احمد عبيد حسين ، نقد العقل الديني في روايتي نحيب الرافدين وفريدون له ثلاثة أبناء دراسة دراسة مقارنة ، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تموز ٢٠٢٤،المجلد:١٤ ،العدد:٣ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Criticism of religious reason in my novel Nahib Al-Rafidain and Faridun have three sons who are educated A comparative study

M.M. Maryam Qasim Muhammad Hashush
Al-Mustansiriya University
College of Education, Department of Arabic Language

M.M. Amir Ahmed Obaid Hussein
Al Qasim Green University

Keywords : religious mind, novel, Abdul Rahman Majeed Al-Rubaie, Abbas Maroufi.

How To Cite This Article
Hashush, Maryam Qasim Muhammad, Amir Ahmed Obaid Hussein , Criticism of religious reason in my novelNahib Al-Rafidain and Faridun have three sons who are educatedA comparative study, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, July 2024,Volume:14,Issue 3.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This research aims to reveal the religious mind in the Iraqi novel (The Wailing of the Two Rivers) by Abd al-Rahman Majeed al-Rubaie (1939) and to compare it with the Persian novel by Abbas Maroufi (1957) ("Faridoun Has Three Sons"). The importance of this topic is focused on revealing the concept of the religious mind in all its manifestations and its social and individual practices, and revealing the relationship between the Iraqi and Iranian novels with regard to the novel's orientation towards the manifestations of religious representation and criticizing it with a cultural approach according to the American school. The results drawn indicate that the religious mind appears in several axes, including duality. Social behavioral behavior, and Al-Rubaie revealed how the subordinate's relationship with religion and the influence of religious authority on individual and social behaviors, while this scene was repeated in Maroufi's novel with various forms of religiously and socially prohibited practices in different spaces. As for the dualities of compulsion and choice, warning and temptation, the narrators reveal the effect of these dualities on the mind. Social and its basic role in basic concepts such as marriage and other works, and the last axis is represented by the sanctity of the reference and the religious fatwas that

reveal how this reference and the fatwa affect the religious mind in society and its impact in the depths of souls.

المخلص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن العقل الديني في الرواية العراقية المتمثلة بـ (نحيب الرافدين) لعبد الرحمن مجيد الربيعي (١٩٣٩)، ومقارنتها بالرواية الفارسية لعباس معروفي (١٩٥٧) (فريدون له ثلاثة ابناء)، حيث تتركز أهمية هذا الموضوع في الكشف عن مفهوم العقل الديني بكل تجلياتها وممارساته الاجتماعية والفردية، والكشف عن العلاقة بين الرواية العراقية والايرانية فيما يخص التوجه الروائي نحو

تجليات التمثل الديني ونقده بمنهج الثقافي حسب المدرسة الأمريكية حيث تشير النتائج المستخلصة إلى ان العقل الديني يظهر في عدة محاور منها الازدواج السلوكي الاجتماعي، ويكشف الربيعي كيفية علاقته التابعة بالدين وتأثير السلطة الدينية على السلوكيات الفردية والاجتماعية، بينما تكرر هذا المشهد في رواية معروفي بأشكال مختلفة من الممارسات الممنوعة دينياً واجتماعياً في فضاءات مختلفة، أما عن ثنائيات الجبر والاختيار والتحذير والإغراء، ويكشف الراويين عن تأثير هذه الثنائيات في العقل الاجتماعي ودورها الاساسي في مفاهيم اساسية مثل الزواج وأعمال أخرى، والمحور الاخير يتمثل بالقدسية المرجعية والفتاوى الدينية التي تكشف عن كيفية تأثير هذا المرجع والفتوى على العقل الديني في المجتمع وتأثيرها في أعماق النفوس.

المقدمة:

هل للإنسان حرية في اختيار الدين؟ وهل اختيار الدين المسبق لولادة الإنسان يشبه اختيار الاسماء التي يحددها الوالدان؟ !! لقد مضى على زمن ولادة الديانات الفٌ او نصف الألف تقريباً منذ أن كان النبي محمد (ص) خاتم الأنبياء... فبعده عاماً المرء حَرّاً في اختيار دينه، بل يقطع رأسه إذا (قطع) دينه.. وهل لنا مهرب من الدين، ام هو وجود فطري؟ حيث يقول مارسب فانير (الدين طبيعي لدى الإنسان كالصهيل لدى الخيول)..[١]

إذن فالدين يشبه الأشياء الطبيعية الفطرية التي جُبلا عليها النفس الإنسانية.. ولكن لماذا؟

ويقول ادوارد تايلور: (كل الأديان ترجع في الاصل إلى عقيدة الإيمان بالأرواح)..[٢]

أما شغل الفكر الإنساني شيء كالموت، أين يذهب الإنسان؟ هل سكون الجسد هو سكون أبدى لصاحبه؟ أم ان هنالك حياةً أخرى سينتقل اليها يقول هيگل (ينشأ الإيمان بالدين المترتّب على ..... و رغباته و مخاوفة و أفعاله..)[٣] و يتعمق(كانط) في هذه الفكره الهيكلية فيقول: (الدين معرفة وواجباتنا بوصفها أوامر الهية)[٤] ولعمق فكرة الدين، وتنوّعها وشمولها بجوانب الحياة

المختلفة، لذلك تعددت الاتجاهات المعرفية التي تناولت المصطلح والمفهوم، فعلم النفس يعرفه (بوصفه اسقاطاً للرغبات الإنسانية)[٥] ومعجم المصطلحات السياسية يعدّه: (أحد وسائل الضبط الإجتماعي ،التي تلطف المخاوف الإنسانية الغريزية)[٦] والرؤية الاجتماعية تنظر اليه منظومة موّحدة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بالأمور المقدسة أي الأمور المحظورة المحرّمة).[٧]

حيث يتضمن مفهوم العقل الإسلامي (او الديني) كما وضحهُ محمد اركون ليس فقط العقل العربي بل كذلك العقل الأعجمي، أي كل عقل اشتغل على الظاهرة الإسلامية باللغة العربية أو غيرها، أي لا يحصر بقومية محددة، حيث ان الكثير من رواد الفكر والفقه الإسلامي كانوا من العجم قائلاً "فضلت استعمال مفهوم العقل الإسلامي على العقل العربي ويصعب عليه قبول ما أورده عابد الجابري لتبرير اختياره لمفهوم العقل العربي"[٨]، فالعقل يشتغل في إطار النص الديني المقدس دون الخروج عنه بغية الوصول لإفهام عامة الناس بكافة مستويات الفهم لديهم لأن الدين مدار حياتهم وهو مصدر الإرشادات الدنيوية والأخروية وهذا ينطبق كذلك على الديانات التوحيد الأخرى كاليهودية والمسيحية التي تشتغل داخل النص المقدس ولا تحيد عنه، وبالتالي جعل العقل رهينة هذا النص المقدس وتكبيل قدراته في النظر والتأويل والحرية، حيث لا يتعدى دوره الشرح والتفسير "هذا المعطى وهذا الوحي النهائي والأخير يقول كل شيء عن العالم والإنسان والتاريخ والعالم الآخر والمعنى الكلي والنهائي للأشياء وكل ما سيكتشفه العقل لاحقاً ليس صحيحاً أو صالحاً مؤكداً إذا لم يكن مستنداً بشكل دقيق وصحيح إلى أحدى تعاليم الله أو انتداداته لدى النبي (من تعاليم النبي) والمعرفة بهذا المعنى هي مجرد استنباط لغوي من النصوص أو عمل معنوي وليس عبارة عن استكشاف حر للواقع ويؤدي إلى التحديد مفهوم المعنوي في كل المجالات".[٩]

إن ميدان السرد، والرواية بالخصوص هو ميدان خصب لهذه الرؤية البحثية، لأن سعة متنها وتوسّعها على اللاوعي بوصفه مجالاً للهروب يتسلل إليه الوعي، والنصوص الروائية التي وقع عليها الاختيار مثّلت خصيصاً لنقد العقل الديني بمستوياتها كلها (الاجتماعية، السياسية)، وكلا الروايتين المتمثلة بالرواية العراقية وهي نحيب الرافدين لعبدالرحمن مجيد الربيعي وفريدون له ثلاثة أبناء لعباس معروفي، الروايتان واقعيتان تتناول قضايا ومعاناة المجتمع العراقي – الإيراني المعاصر، فكلا الراويين نجحو في أعمالهم المذكورة بانعكاس النقد للعقل الديني وتجليات بشكل دقيق وممتاز.

إذ تهدف هذه الدراسة ضمن المنهج النقد الثقافي بالكشف على الإنساق الثقافية المضمرة وتركيزها على الهامش والمجتمع بعيداً عن الحقل الجمالي، وتلخصت في هذا البحث تجليات

العقل الديني ونقده في روايتي المذكورة في ثلاث محاور المحور الاول الإزدواج السلوك الاجتماعي والمحور الثاني عن ثنائيات الجبر والاختيار والتحذير والإغراء الديني والمحور الأخير قدسية المرجعية والفتاوي الديني ومقارنتهما حسب المدرسة الأمريكية.

١ – ازدواجية السلوك الاجتماعي :

ليس المقصود هنا بالإزدواجية ازدواج العناصر السلوكية في الشخص بل الانحراف وبعيد البعد عن الوسطية والتوازن الحقيقي الذي يتعارف عليها المنهج الديني او العرُفي في المجتمع.

و من هنا يظهر أن "الازدواجية في السلوك الإنساني" بمعناها المراد اليوم الذي يقصده علماء التربية و الاجتماع، والمعنيون بتتبع دراسة سلوكيات الناس لا صلة له بالوضع اللغوي التراثي، ولا بمعناه المعجمي.

بل هو مصطلح جديد يقصد به دراسة المفارقات والتناقضات السلوكية [١٠]، ويتناول عبدالرحمن مجيد الربيعي الكثير مما ذكر من المفارقات السلوكية الدينية المتداخلة مع العامل الاجتماعي في روايته "نحيب الرافدين" حيث يذكر في أحدى النصوص:

"صوت أم كلثوم و هي تردد" دليلي احتار" يرجمه من النافذة، و كأن كل الشعب مستباحة أو تستبيح بعضها،لا أحد يفكّر بمن هم في الشقق الأخرى، يأخذ حريته على مداها، يفتح الراديو بأعلى صوته وخاصة إذا راق المزاج مع كأس عرق، أما الآن و في أيام رمضان فقد تحول الجميع إلى الصيام، ولكن ضوضاء إعداد طعام الإفطار تبدأ من الواحدة ظهراً، فكأن الناس يصومون ليأكلو. تنطلق روائح الطبيخ زيوت و لحم، ثم هناك من يرتل القرآن أو يضع كاسيتاً لشعشاعي أو عبدالباسط عبد الصمد، و هناك أيضا من يستمع إلى أم كلثوم، لأن صوتها يوقد الحنين إلى وطنهم مصر الذي غادروه و جاؤوا إلى بغداد للعمل .[١١]

هذا المشهد عبارة عن حوار مونولوجي لشخصية الرئيسية "غسان العامري" وهو ساكن في عمارة يسكنها المصريون المهاجرين، يصوّر المشهد البيئة الدينية لحياة الآخر(المصري) المقترن ب (أم كلثوم) ذات الرمزية المدنية تقابلها رمزية (عبدالباسط و الشعشاعي) الدينية.. فالحياة اليومية الفردية المضادة على سماع الأغاني قد هيمنت عليها السلطة البطرياركية الدينة الجمعية المتمثلة في (شهر رمضان) و تغير أسلوب الحياة نحو تحول (الصوت) من المدني إلى الديني فالممارسة الدينية وطقوس شهر رمضان ليست ايماناً داخلياً عميقاً للتجلي السياق الديني بقدر ما هو الخضوع للسلطة وهذا ما يجسّده مشهد (روائح الطبخ) و(ترتيل القرآن) .إذ تحول (الجميع إلى الصيام) بعد أن كانوا ذا المزاج (راق مع كأس العرق) فالصوم ليس عبادة بقدر ما هو (الناس صاموا ليأكلو).. ولا ننسى أن مفهوم الدين في الفكر الاسلامي هو (العادة و السيرة و

الحساب و القهر و القضاء..) وعلى وفق التصور المنطقي الفكري فإن السلوك العبادي قد يتحول إلى اجتماعي تراتبي بوصفه سلوكاً معتاداً ومن[١٢] ثم لقد إدى لقد أدّى التباين بين الأسلوب الفردي والاسلوب الجمعي إلى خلق (الازدواجية) السلوكية نتيجة ضغط السلطة البطرياركية الدينية بمحدد زماني (شهر رمضان) الذي لا يسمح ب(الحركة الفردية)..ومن ثم فإن وجود صوت أم كلثوم تمثل رمزية مصرية عالية.

ونجد مشاهد سردية كثيرة يرويها عباس معروفي في روايته "فريدون له ثلاثة ابناء" يتضح فيها النقد الديني بشكل صريح جداً ويوضح ارتباط الإزدواج السلوك الديني بالعامل السايكولوجي والجمعي:

همیشه یک جای کار می‌لنگید و مثل تار عنکبوت واقعیت داشت، اما هر وقت بهش فکر می‌کنم ، این سوال برام پیش می‌آید که آن عنکبوت چه جوری از این سر دیوار رفته آن سر دیوار. بال که ندارد . از تار دوم مسئله حل است، اما اولی را چه جوری می‌تند ؟ [١٣]

ناصر می‌گفت : " و به عنکبوت نگاه کن ..."

امیر کمونیست گفت : " زر نزن ..بابا کره‌ی مریخ هم فتح شد، این مردکه‌ی الدنگ هنوز توی قرآن گیر کرده است ."

البته کمی هم حق داشت ، ناصر دوست جانی من، اشکالش این بود که کمی مذهبی بود ، من ندیده بودم نماز بخواند ،هیچ وقت ،فقط کمی اخلاق گرا بود ، مثلاً وقتی می‌رفت حمام غسل می‌کرد . [١٤]

.....

حتا زنش ،عفت هم تحت تأثیر این آخلاق گرایی ، ته ذهنش مذهبی بود ، اروپا هم درستش نکرد که نکرد . با آن اندام توپر قشنگ ، موهای تابدار سیاه و بوی عطری که از حلقش بیرون می‌زد، موقع همخوابگی تمام مدت گریه می‌کرد ،می‌لرزید و گریه می‌کرد، بهش گفتم :" تو مذهبی هستی ؟ "

می‌گفت نه ، اما بود و من دورش را خط کشیدم . [١٥]

الترجمه :

لقد كان هناك خلل دائماً وكان ذلك حقيقيًا مثل شبكة العنكبوت ، ولكن كلما فكرت في الأمر، كان السؤال يطرح علي، كيف انتقل هذا العنكبوت من أحد طرفي الجدار إلى الطرف الآخر من الجدار. ليس له أجنحة. من السلسلة الثانية من الشبكة الأمر محلول لكن كيف تنسج الأولى؟

كان ناصر يقول: "وانظروا إلى العنكبوت .. " "...

قال الأمير الشيوعي: " كفاك الثرثرة يا هذا .. ، تم كشف المريخ و الصعود اليه ، و هذا الرجل لا يزال عالقًا في القرآن " .

بالطبع ، كان محقًا قليلاً ، كان ناصر صديقي العزيز المقرب ، لكن المشكلة أنه كان متدينًا بعض الشيء ، لم أره يصلي أبدًا ، لقد كان أخلاقيًا بعض الشيء ، على سبيل المثال ، عندما يذهب إلى الحمام ، كان يغتسل ..

حتى "عفت" زوجته كانت متأثرة بهذه الأخلاق ، كانت متدينة من الداخل ، ولم تقم أوروبا بإصلاحها أيضًا. مع ذلك الجسم الممتلئ الجميل، والشعر الأسود المتموج ورائحة العطر المنبعثة من فمها ، كانت تبكي وترتجف وتبكي طوال الوقت عندما ننام معًا ، قلت لها: "هل أنت متدينة؟"

أجابت :لا

لكنها كانت متدينة ... لذلك ابتعدت عنها ؟

المشاهد السردية اعلاه هي مشاهد حوارية مونولوجية ودايلوجية مؤكدة بدوال لسانية وخطابات نقدية صريحة للدين بين شخصيات رئيسة في رواية "فريدون له ثلاثة ابناء"، ويكشف السرد أن لقب (الأمير الشيوعي) ليس سياسيّاً يقدر ما هي صفة يطلقها (الآخر) المتدين على المختلف معه، وعليه فصفة الشيوعي هي رمزية ل(الكافر) غير الخاضع للسلطة البطرياركية الدينية و لذلك لم تكن فاعليته السردية فاعلية سياسية انما هي يوميات ذات غطاء ديني (لم أره يصلي أبداً) (عندما يذهب إلى الحمام يغتسل) وهذه صفة (أخلاقية) وفق المعيار الديني، لقد هيمنت السلطة البطرياركية الدينية على التصور الفردي، رغم العلاقة المحرمة والمخالفة الشرعية بين "مجيد/عفت" و على الرغم من الوصف الحسي الجمالي لأنوثتها (جسمها الممتلئ الجميل، و الشعر الأسود المتمّوج و رائحة العطر المنبعثة من فمها..) لكنها كانت خارج منطقة الإغراء غير مستجيبة للعملية الجنسية مع "مجيد" صديق زوجها ذلك بسبب السلطة البطرياركية الدينية التي حرقت عليها الشهوة الجنسية رغم انه اتهمها بانها (متدينة) و لكن رفضها هو رفض له وليس للدين و يوجه التصور الديني و إفرازاته الشرعية إلى صفات أخلاقية ينبغي التمسك بها ،و منها أن يجعل لشهواته و لذاته (قانوناً) راتباً و يقصد منه الاعتدال القائم على معيارية الشريعة

التي تحدد صفة العلاقة بين الجنسين[١٦]، فلقب(الشيوعي) يعني الخروج عن (القانون) الشرعي و صفة (لم أره يصلي) تعني التمرد على الشرعية السلطة البطرياركية الدينية التي ترغم الفرد على أدائها.. و قد تشبّع الدين في (الجسد) و (الروح) و (العقل) حتى غدا معيارياً اجتماعياً و دينياً للتعامل مع الآخر.

٢- ثقافة الجبر والاختيار في الدين:

تُعتبر مسألة كيفية صدور الإرادة، وما إذا كان الإنسان يتمتّع بقوة الإرادة والاختيار الحرّ في أفعاله أم أن إرادته صادرةٌ بالجبر والإكراه نتيجة لعلل وعوامل خارجية، وهي من أهمّ الأسئلة الفكرية والعقائدية، وأكثرها تعقيداً. هذه المسألة عُرِفَتْ في الثقافة الإسلامية بمسألة «الجبر والاختيار»، وتمّ طرحها بأشكال متعدّدة في مختلف مجالات العلوم والثقافة الإنسانية، مثل: الفلسفة، وعلم الكلام وأُثيرت جدلاً في مجال الثقافة الإسلامية، وخاصّة في علم الكلام، وساهمَتْ في تأسيس بعض المدارس الكلامية، يقول كانط عن الإرادة والحرّية: (الإرادة نوعٌ من العلية للكائنات الحيّة بقدر ما هي عاقلة. الحرّية هي سمةٌ من سمات هذه العلية بحيث يمكنها التصرُّف بشكلٍ مستقلّ عن المحدّدات المتأتِّية من الأسباب الخارجية، تماماً كما أن الضرورة الطبيعية هي الصفة العلية لجميع الكائنات غير العاقلة التي أجبرت على التصرُّف بأسباب غريبة. ماذا ستكون حرِّية الإرادة غير الاستقلال، يعني مزية الإرادة، لتكون قانوناً في حدّ ذاته بالنسبة لنفسها؟).[١٧] اما المقصود بالتحذير والإغراء منه الفكر الديني الذي يبنى على (الوعود) المقدمة ل(العبد) الملتزم بالتعاليم الدينة وهي عادة ما تكون غيبية ومستقبلية ويعد مبحث الإغراء والتحذير من المباحث الفكرية المهمة التي اهتم بها الخطاب الفلسفي الغربي والفكر الإسلامي على حد سواء.

ويستخدم الإغراء لجذب البشر نحو الخير والفضيلة والتحذير يحذَّر البشر من الشر والمعاصي، ويُغرَّى بهم نحو الخير.

و هكذا تجمع الأهل في بيت الأخ ببغداد،جاء الوالد من الناصرية و حضر الخال من البصرة، و كل واحد منهما كان مصحوباً ببعض أبنائه .

تمت الخطوبة، قرأوا الفاتحة، و شربوا "الشربات " اللذيذة .

و ردّ والدها المؤمن و كان مازال يمتلك بعض حيويّته قبل أن يستفحل عليه السكّري و يتركه شبه ذاهل عما حوله ،كليل البصر،ضعيف الذاكرة :

- الخير فيما أختاره الله !

كانت هذه الكلمات ترّن في أذن غسّان حتى اللحظة هذه

و لكن هل الله هو الذي أختار أم نحن الذين أخترنا ؟ [١٨]

يقول هيگل في وصف الدين: (إنه ضروري في الحياة لأنه يجعلنا نتصوّر أن أفعالنا وأقوالنا مشروعة بأوامر إلهية)[١٩] و لا شك فيه أن النسق الديني المضمر يدفع الإنسان (المتدين) إلى تسويغ الفعل بصفة (القدر)..لا أعني،هنا،الفلسفة القدرية كأحدى المدارس و الملل الشائعة في التأريخ الإسلامي، إنما أعني القدر بوصفه صفة تسوغ فعل الاختيار المسبق من قبل الإرادة الإلهية.. فيما يروى في الحديث الشريف أن الزواج يشبه الأرزاق يختاره القدر للإنسان و مطبوع على جبينه،و ها هو شائع في المجتمع العراقي عن الزواج بأنه (قسمة ونصيب!!).

فما صرّح به (الخال): (الخير فيما اختراه الله) هو تمثل للسلطة البطرياكيه الدينية التي فتحته إجازة التصريح الجمهوري العلني، و ما دار في داخل (غسان) من تساؤل انكاري يعتلج في نفسه انما كان بسبب ضغط قوّة السلطة التي ارغمته على المونولوجية و الصامته.. فقوله الصامت (و لكن هل الله هو الذي اختار) هو تعبير عن تمرّد على تلك السلطة بأسلوب عدم القناعة الداخلية و ليس جهراً بسبب شرعية السلطة الدينية .

ومن هنا، تكمن اشكالية الموضوع في حرية الاختيار من عدمه، و الذي يحدد حرية السلطة من عدمها،(فمن المؤكد أنه ما لم تكن هناك حرية إرادة فلن تكون هناك اخلاق، لأن الأخلاق تتعلق بما ينبغي أو لا ينبغي، علة الناس القيام به، لكن ما لم تكن للإنسان حرية اختيار فيما يفعل و إذا كان سلوطه باستمرار يتم عن طريق الجبر فلن يكون للوقف معنى..)[٢٠].

ولا يمكن التغاضي عن الفلسفة الجبر والاختيار في الثقافة الإسلامية التي كانت تدعم من قبل السلطة بما يتناسب مع ظروفها السياسية.. و هذا ما عملت عملية السلطة الأموية .. وقد تراكمت التصورات الدينية في المخيلة الاسلامية حتى أسست ظاهرة اجتماعية و دينية سلوكية في الفعل البشري. ونجد ما يشابه هذه المشاهد في رواية عباس معروفي تبرز فيه ثناية التحذير والإغراء، يقول فيه شخصية "مجيد" الرئيسة:

ميرزا محمود مارا هاج و واج نگاهمان مىكرد:" بهش گفتم :"اگر صدات درباياد كارى باهات مىكنم كه هفت تا ميرزا محمود ديگر از بغلت بزند بيرون . "

اسد تند خودش را رساند به او گفت :" بعد اين دالان را با همه ميرزا محمودهاش منفجر مى-كنيم، اما اگر با ما كنار بيايى ، هم اجر اخروى دارى هم اجر دنيوى ." [٢١]

الترجمة :

"ميرزا محمود كان ينظر إلينا بطريقة غريبة: "قلت له:" إذا رفعت صوتك، لن تلوم إلا نفسك."
ووصل اسد اليه سريعاً وقال: "حينئذ سننسف هذا الممر بكل ما فيه من ميرزا
لكن إذا تعاونت معنا، فستحصل على أجر الدنيا والآخرة".

لا شك في أن الأدبيات الدينية تقوم على تقنين الحياة الغيبية بصورة واقعية بوصفها مرحلة الثواب والعقاب المؤجل و لعل أعلى مراتب الثواب الأخروي تتمثل في الشهادة، و من طبيعة الإيمان بالله يستوجب الايمان بالآخرة بما يعني التصديق الكلي بما ينجز عنه الدين . و من ثم فإن قوّة السلطة البطرياركية الدينية تتأتي من قوّة الإيمان الذي يأمر المنتمي ب(الموت) من أجل (حياة) الآخرة و لا يتحقق هذا الفعل بالإغراء الاقتصادي ولا بالسلطة السياسية و الاجتماعية انما يتحقق بالسلطة الدينية لأن حتمية الموت تقابلها حتمية الشهادة وهي تقود الى حتمية الثواب الأخروي في أعلى درجات الجنة.. و إن اندفاع (أسد)هو الاندفاع الديني المؤمن بالمبادئ الدينية فالسلطة توجهت نحو الفرد بأسلوب كلي ثم من الكل إلى الفرد و ليس في الأمر إخبار مبني على على الصدق والكذب رغم أن سياق الجملة إخباري (على سلطة النص الديني التي تحولت إلى سلطة بطرياركية فاعلة (فالحديث عن الصدق و الإحالة لا يقتضي افتراض أن ذلك يقدم مضموناً معرفياً اخلاقياً..) [٢٢] وانما يقوم على حتمية إخبارية كلية خارج حدود الزمان و المكان.

٣- تقديس المرجعية والفتوى:

يقوم العقل الشيعي على اساس المرجع، الذي يمتلك سلطة أبوية قاهرة وقادرة على التحكم الكلي بالحياة الإنسانية بما يرتبط منها بالدين والفقه والشريعة وعادةً ما تأخذ أسلوب (الفتوى) التي تفرض سلطتها مهددون الحاجة إلى التسويغ أو التقليل..

تتعلق مسألة القدسية المرجعية الدينية او الزعيم الديني عادة بالحركات الدينية الرسمية كما تنطلق من الطائفة (الدين غير الرسمي) وتتمحور حول زعيم ديني ملهم كشخصية كاريزماتية متعالية من الأفراد العاديين. وما يلفت الانتباه في الزعامات الدينية هو أنها تعمل على صوغ رموز جديدة وجملة من التصورات الخاصة بها كما أنها تعمل على تعبئة فئات متعددة و شرائح اجتماعية مختلفة بقصد القيام بتغييرات و تحوّلات مصيرية، هناك طبعاً، الحركات التي تزعمها الأنبياء، كما أن هناك حركات المجتهدين والمصلحين والمجددين عبر التاريخ البشري[٢٣]، ويروي عبدالرحمن مجيد الربيعي مشهد مهم من فترة تاريخية اثرت فيه الزعامة والفتوى الديني في تحولات العراق يقول فيه:

وعندما اخترت فكرة إعلان الجهاد عند علماء الدين ضد الإنكليز الذين احتلو الفاو جنوبي العراق عام ١٩١٤ و بدأوا يتقدّمون باتّجاه البصرة لاحتلالها.

تحرّك المجاهد الحبوبي في سفن النّاصرية التي اتخذت مركزا لتجمع كلّ المجاهدين .

و قد وصلها عام ١٩١٥ و أراد سكّان المدينة أن يميّزوه لمكانته و يقيم في دار أحد الموسرين منهم فقال خطاباً إياهم : (أنّي نفر من هؤلاء المتّطوعة لا ميزة لي عليهم و شتّان الحرب و التّرف)

و من الناصرية تحركوا نحو الشعيبة و لكّنهم خسروا المعركة ضد الجيش النظامي الإنكليزي ،و قد مرض الحبوبي و مات في النّاصرية)[٢٤].

لم يكتب الروائي، في الكشف، عن التمثل الديني البطرياكي، في الفضاء الزمكاني الآتي، بل توجه نحو المرجعيات الأولى لتأسيس الدولة العراقية، تلك التي تبتدئ مع قيام ثورة العشرين، المشهورة في التأريخ العراقي الحديث؛و لكن لماذا؟ كأن السارد يريد أن يكشف عن السلطة البطرياركية الدينية، التي كانت تمثل (الفتوى) المؤججة للصراع مع الممثل الإنكليز، و إن الغطاء الدين للثورة، يأخذ صورة جمعية تصل إلى المستوى اللاشعوري عند الجماهير و هي ما يمكن تسميته ب(التجربة الدينية) التي يعرفها شلاير ماخر:

(هي ليست تجربة عقلية أو معرفية بل شعوراً أو ارتباطاً كلياً بمصدر أو قوة مطلقة مميزة عن العالم.) [٢٥] و عليه فإن المواجهة مع الآخر المحتل ما دامت بمرجعية دينية فإنها تأخذ مسار التجربة الدينية الكلية، وهو ما يقود إلى تصور آخر سلطوياً دينياً فإنها قد تكون نوعاً مع المغازلة الدينية ما يؤدي إلى فخ شهية، هي تفتح شهية التأويل على نافذة المغازلة للسلطة العثمانية ذات الغطاء الديني.

حدّد الروائي النقطة الزمكانية لانطلاق الثورة: المكان (الناصرية) الزمان (١٩١٥) و هو زمن مجيء (المجاهد الحبوبي) إلى هذه المدينة و كيف استحث لهم لمقاومة الانكليز و التحرك نحو الشيعية.. و لعل الصورة المضمرة هي غياب (الوعي السياسي) و فاعليته الثورية؛ و من ثم كان الفاعل الديني هو المهيمن لقيام الثورة و تعود إلى التساؤل: لماذا؟ لعل السارد يريد أن يبين أن الأسس دينية، تتبلور من تقديس المرجع الناطق بالفتوى حتى وان كانت تخصّ أموراً سياسيّة و نجد تمثيل هذا المشهد بشكل اكثر دقة وصراحة في رواية معروفي ويتضح فيه عن التدخل المرجع الديني وهو (الإمام الخميني) وتدخله في تعيين الحطومة الجديدة بعد الثورة الإسلامية في ايران، وفي هذا المشهد يذكر الراوي النقد الشديد الصريح لتدخل الدين في السياسية، يقول فيه:

پدر گفت :" تو چه كارهای كه دولت تعيين می‌كنی، مردک ؟ تو كی هستی اصلاً ؟ چقدر وقيح شده اند "

اسد فرياد كشيد :" درباره‌ی امام خمينی اينجوری صحبت نكن ".[٢٦]

الترجمة. قال الأب: " و من انت حتى تحدد لنا الحكومه يا رجل؟ من أنت و على أي اساس؟ يا له من الوقاحة ."

صاح الأسد: "لا تتحدثوا عن الإمام الخميني هكذا".

المشهد عبارة عن حوار دايلوجي بين (الأب/الإبن) لعائلة "أماني" الشخصية الرئيسة المعارضة ومن الواضح الإبن "الأسد" هو من المدعومين للثورة الإسلامية ويعمل في القوات الحماية للخميني، في حين الأب هو من المنتقدين للثورة، والمشهد في أعلى مستوياته السلطوية الدينية الذي يجعل الإبن يهدد الإب لأجل اعتقاد ديني متشدد لا يسمح لأحد بالنقد للزعيمه المقدس.

و إن السلطة البطرياركية الدينية هي من منحت (الابن) منصب (السلطة) المتعالية على (الأب) فلو كان الأب هو من صاح على الابن لكان الأمر مألوفاً – اجتماعياً ضمن السلطة الاجتماعية، و لكن هنا (الابن) هو من تمثل السلطة الاجتماعية، و هو من تمثل المسّوغ ديني ينطلق من قانون (لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق) .. و القرآن الكريم يحثّ على طاعة الوالدين إلا في معصية الله...و لأن المقدس الديني هو مقدس كلي و ليس انتقائياً لذلك فإن (الابن) هنا يعبر عن شرعية بالفعل (صاح) التي جاءت ردة فعل على استنكار الأب لفعل (الإمام)... الإمام أعلى من الأب و طاعته واجبه بالمنظور الديني.. و عليه فالسلطة الدينية هي من حققت فاعلية الخطاب.. و من طبيعة الخطاب أن (يكون تفسيرياً ظهر بعد توقف النبي مباشرة عن الكلام)[٢٧]، و هو ما قرّب المسافة بين النص المنزل عبر الوحي و النص البشري الصادر عن وساطة الوحي.. فالمقدس هو المقدس ليس بالضرورة أن يكون سماوياً خالصاً أو ظرفياً محدداً؛ و يقود التقديس إلى كلية المعنى و حتميته و ضعف التأويل و احمالياته؛ فالإمام أمام ما يقوله فتوى واجبة الطاعة، لأن كلامه (خطاب) مقدس و واجب السمع و الطاعة، فمنعهم من الحديث عن الإمام الخميني يعني منعهم من الحديث عن (المقدّس).

النتائج:

بعد دراسة النقد العقل الديني في رواية نحيب الرافدين العراقية و فريدون له ثلاثة أبناء الفارسية على المنهج الثقافي ومقارنتهما حسب المدرسة الأمريكية، نجد عدة محاور تتمثل فيها العقل الديني بشكل مكثف في الروايتين وقد توصلا الباحثون الى مجموعة من النتائج عبر نقاط الآتية:

يعرف العقل الديني بأنه تصور عقلي مجرد لأحداث أو أشياء أو مواقف أو لفئة من المعلومات أو لقيم وسلوكيات متصلة بالدين تتكون عن طريق الخبرات المتتابعة للفرد ويجمعها عنصر أو عناصر مشتركة ويعبر عنها بكلمة أو مصطلح أو عبارة دينية ولا يتحقق الدين تجريدياً إلا بالتمازج والتطابق مع البعد السياسي والاجتماعي، وكلا الروايتين الواقعيتين تضم تمثلات دينية

مهمة يتجلى فيه العقل الديني مثل قضايا الأزدواجية السلوكي وارتباطها بالدين في فضاءات مختلفة إضافة لثنائيات الجبر والاختيار والتحذير والإغراء وجدليتها في مفاهيمها الفلسفية و الإسلامية، و المحور الأخير الذي يتمثل بالقدسية المرجعية والفتوى الدينية.

وإن اهم تشابه في الروايتين ترتكز في قدسية المرجعية والفتاوى الدينية ويعرف بانه الحكم القطعي والمقدس الذي يصدر من خلال الزعامة او المرجعية الدينية وقد يكون هذا الأمر مترادف إلى حد كبير في الروايتين فالزعامة الشيعية باختلاف الفترة التاريخية في الروايتين مهتمة بالتحولات المصيرية من خلال اصدار فتاوى دينية.

سعى الراويين إلى الاهتمام بالقضايا الاجتماعية المرتبطة بالدين والذي يبنى على اساس قرارات عقلية متمثلة بالجبر والاختيار والتحذير والإغراء بلغة سيمائية مكثفة لاختزال النظرة التقليدية للمجتمع العراقي والإيراني إضافة إلى ايقونة الزواج (الرجل/المرأة) وصراع الجبر والاختيار في رواية نحيب الرافدين والتحذير من العقاب والإغراء بالثواب في فريدون له ثلاثة ابناء.

ومن ابرز أوجه الاختلاف هي تجليات ازدواجية السلوك في الروايتين المتمثلة في كشف المحرمات في فضاءات خارجة للبلد ففي رواية "نحيب الرافدين" كشف عن هذا في بلدان عربية كما هو المغرب والخوف من السلطة بشكل غير مباشر الدينية الفحولية هي بأعلى مستوياتها في هذا الجانب من خلال النسق الديني – الاجتماعي اما في رواية " فريدون له ثلاثة ابناء" ركز الراوي على تأثير هذا العامل أي الديني على ازدواجية السلوك متأثراً بسلطة اللاوعي الفردي في حين يلحظ غياب السلطة الدينية في فضاء خارج البلد أي في المانيا.

الهوامش

[١]–قاموس بلاكويل للفكر الاجتماعي الحديث: ٢٩٩

[٢]– روح الدين، من ضيق العَلمانية إلى سعة الائتمانية، طه عبدالرحمن:١٨٢

[٣]–الفكر الاسلامي، نقد و اجتهاد، محمد اركون،تر: هاشم صالح، لبنان: ٨٢

[٤]–مغجم المصطلحات الفلسفية ، ج١: ١٤٤

[٥]–الدين و الانسان ،اولتمان تيمار: ٣٤

[٦]– مفاتيح اصطلاحية جديدة، طوني بينيت– لورانس غروسيبرغ، تر:سعيد الغانمي: ٢١١

[٧]– معجم الماركسية ، جيرار بن سوسان –جورج لابيكا، دار الفارابي، دار محمد علي للنشر،تونس– بيروت، ٢٠٠٣: ٣٢١

[٨] ينظر :مفهوم العقل الإسلامي لدى محمد اركون،علامي خالد المسعود،مجلة الموروث: ، ٢٠٢٠: ٦٠ –

[٩] الفكر الإسلامي نقده واجتهاده،،ت هاشم صالح،: ١٣–

الازدواجية في السلوك اسبابها و طرق علاجها من منظرو التربية الإسلامية، عبدالرحمن بن سعيد الحازمي : ١٤

[١٠]– ١٤

[١١]– نحيب الرافدين :٢٤

[١٢]– الموسوعة الجامعة للمصطلحات الفكر العربي و الاسلامي،جيرار جيهاني، ١٢٩٥

[١٣]– فريدون سه پسر داشت :٤٩

[١٤]– المصدر نفسه : ٤٩

[١٥]– فريدون سه پسر داشت: ٤٩

[١٦]– العقل الأخلاقي العربي،محمد عابد الجابري : ٣٣٧

[17]– Kant, Immanuel, 1970, Critique of Pure Reason, Translated by Norman Kemp Smith. p 476

[١٨]– نحيب الرافدين ، عبدالحمن مجيد الربيعي: ٢٧٢

[١٩]– موسوعة النظرية الثقافية ،اندرو إدجار،ت.هناء الجوهري: ٢٠٩

[٢٠] – ولترستيس، الدين و العقل الحديث، دار التنوير، ترجمة: امام عبد الفتاح امام:: ٩

[٢١]– فريدون له ثلاثة ابناء ،عباس معروفي :٥٢

[٢٢]– اللغة الدينية،مايكل سكوت،ت: كيان احمد حازم يحيي::١٤٦

ينظر الدين في المجتمع العربي، مجموعة مؤلفين: ٢٢–٢٣ [٢٣]–

[٢٤]–نحيب الرافدين: ٢٣٩

[٢٥]–فلسفة الدين دراسة في فكر بول تيليتش :١١٨

[٢٦]– فريدون سه پسر داشت :٦٢

[٢٧]–الشكيل البشري للاسلام،محمد أركون: ٥١

المصادر:

١–قاموس بلاكويل للفكر الاجتماعي الحديث،وليم اوثوايت،اشراف فالح جبار، معهد دراسات عراقية،المنامة،هيئة البحرين والآثار، ط ١: ٢٠٢٢

٢–روح الدين، من ضيق العَلمانية إلى سعة الائتمانية، طه عبدالرحمن، الدرا البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي ط٢: ٢٠١٢

٣–الفكر الاسلامي، نقد واجتهاد، محمد اركون،تر: هاشم صالح، لبنان، مركز الإنماء القومي و المركز الثقافي العربي دار الساقي بيروت–لبنان، ط٢: ١٩٩٦

٤–الدين و الانسان ،اولتمان تيمار

٥–معجم الماركسية ، جيرار بن سوسان –جورج لابيكا، دار الفارابي، دار محمد علي للنشر،تونس– بيروت ،تونس– بيروت،

٦–مفهوم العقل الإسلامي لدى محمد اركون،علامي خالد المسعود،مجلة الموروث:مجلد ٠٨، العدد ٠١، ص ٥٩–٧٣،

٧-الازدواجية في السلوك اسبابها و طرق علاجها من منظرو التربية الإسلامية، عبدالرحمن بن سعيد الحازمي ،٢٠٠٧جامعة ام القرى ، معهد البحوث العلمية
٨-نحيب الرافدين، عبدالرحمن مجيد الربيع، دارنقوش عربية ، تونس: ٢٠١١
٩-الموسوعة الجامعة للمصطلحات الفكر العربي و الاسلامي،جيرار جيهاني،مكتبة لبنان،ناشرون،ط ١ ، ٢٠٠٦
١٠-فريدون سه پسر داشت،عباس معروفي، چاپخانه مرتضوى، چاپ دوم،تهران:٢٠٠١
١١-العقل الأخلاقي العربي،محمد عابد الجابري ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت، ط٥ ،٢٠١٢
١٢- Kant, Immanuel, 1970, Critique of Pure Reason, Translated by Norman Kemp Smith, London, Macmillan. p 476
١٣-موسوعة النظرية الثقافية ،اندرو إدجار،ت.هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة ،القاهرة ،ط٢٠١:٢٠٩،،٢
١٤-ولترستيس، الدين و العقل الحديث، دار التنوير، ترجمة: امام عبد الفتاح امام، ط ٤، ٢٠١٤
١٥-اللغة الدينية،مايكل سكوت،ت: كيان احمد حازم يحيي، دارالكتاب الجديد المتحدة، ليبيا ،ط ١ ،٢٠٢١ :١٤٦
١٦-الدين في المجتمع العربي، مجموعة مؤلفين، مركز الدراسات الوجدة العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع،بيروت_لبنان،ط١، ١٩٩٠
١٧-فلسفة الدين دراسة في فكر بول تيليتش دار المعارف الحكمية،هاني عبدالصاحب،ط١ ،٢٠١٧
١٨-الشكيل البشري للاسلام،محمد أركون،المركز الثقافي العربي ،المغرب،ط١،٢٠١٣

Sources:

1- Blackwell Dictionary of Modern Social Thought, William Outhwaite, Ashraf Faleh Jabbar, Institute of Iraqi Studies, Manama, Bahrain and Antiquities Authority, 1st edition: 2022
2- The Spirit of Religion, from the narrowness of secularism to the breadth of credit, Taha Abdel Rahman, Casablanca, Morocco, Arab Cultural Center, 2nd edition: 2012.
3- Islamic Thought, Criticism and Ijtihad, Muhammad Arkoun, Trans. Hashem Saleh, Lebanon, National Development Center and Arab Cultural Center, Dar Al-Saqi, Beirut-Lebanon, 2nd edition: 1996
4- Religion and Man, Oltman Temar
5- Dictionary of Marxism, Gerard Ben Soussan - George Lapica, Dar Al-Farabi, Muhammad Ali Publishing House, Tunisia - Beirut, Tunisia - Beirut,
6- The concept of the Islamic mind according to Muhammad Arkoun, scholar Khaled Al-Masoud, Al-Mawruth Magazine: Volume 08, Issue 01, pp. 59-73,
7- Duality in behavior, its causes and methods of treatment from Islamic education theorists, Abdul Rahman bin Saeed Al-Hazmi, 2007, Umm Al-Qura University, Scientific Research Institute
8- Naheeb al-Rafidain, Abdul Rahman Majeed al-Rabi', Arabic Inscriptions, Tunisia: 2011
9- The comprehensive encyclopedia of terms of Arab and Islamic thought, Gerard Jehani, Lebanon Library, Publishers, 1st edition, 2006.

10- Fereydoun Sassar Dasht, Abbas Maroufi, Chap Khaneh Mortazavi, Chap Dom, Tehran: 2001
11- The Arab Moral Mind, Muhammad Abed Al-Jabri, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 5th edition, 2012.
12- Kant, Immanuel, 1970, Critique of Pure Reason, Translated by Norman Kemp Smith, London, Macmillan. p 476
13- Encyclopedia of Cultural Theory, Andrew Edgar, T. Hanaa El-Gohary, The Strong Center for Translation, Cairo, 2nd edition, 201:209.
14- Walterstis, Religion and the Modern Mind, Dar Al-Tanweer, translated by: Imam Abdel Fattah Imam, 4th edition, 2014.
15- Religious Language, Michael Scott, published by Kian Ahmed Hazem Yahya, United New Book House, Libya, 1st edition, 2021: 146.
16- Religion in Arab Society, a group of authors, Center for Arab Wojda Studies, Arab Sociological Society, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1990.
-١٧The Philosophy of Religion: A Study in the Thought of Paul Tillich, Dar Al-Ma'arif Al-Hikma, Hani Abdel-Sahib, 1st edition, 2017